صورة العالم الحديث فى ربيع سنة ١٩٤٢

بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعه

---

(١)

كتب برتران روسل الفيلسوف الاجتماعى العالمى ، وقد صار لوردا ، واختار الاقامة فى الولايات المتحدة منذ سنة ١٩٣٨ مقالا نشرته أمهات المجلات الأمريكية يقول فى وصف العالم الحديث :

"لقد حلت الوحشية والقسوة محل الحضارة والتقدم وامتلأ العالم بالآلام وتجلت آمال الإنسانية فى السعادة فاذا هى محض أوهام وظهر للبشرية المتطلعة إلى الخير أنها لم تكن إلا مخدوعة أو خادعة . لاتسعد الأمم بالأراضى المنزرعة ولا الأفدنة الخضراء ولا الأشجار المثمرة إنما تسعد الأمم بالرجال الذين يزرعون الأراضى والأفدنة والأشجار، ولا بالمناجم والمعادن التى تخرج ثروة الأرض الباطنة وكنوزها الدفينة فى أحشائها ، إنما بالعمال الذين يخرجون هذه الكنوز ؛ ولكن كيف يصنع رجل واحد محب للخير وميال للإصلاح، حيال عالم بأسره؟ إن الجنس البشرى خليط غريب من الخير الإلهى والشر الشيطانى حتى صار كل من الخير والشر أمرا لازما ، لاغنى عنه ولا بد منه . فلا اليأس التام بنافع ولا الاستبشار الأعمى بشافع . و إنه لمن سوء حظ المتعاصرين فى هذه الحقبة من الزمن أن تقع أعمارهم فيها".

وظاهر من رأى هذا الحكيم الذى ملأ الكتب بأفكاره المنطقية السليمة منذ ثلاثين عاما أنه و إن لم يمل نحو التشاؤم كل الميل إلا أنه صرح بأمور كان يحرص كل الحرص على أن لايصرح بها كالتسليم بطبيعة الانسان المزدوجة بالشر والخير ، والاعتراف بأن الفترة التى نعيش فيها فترة سيئة الطالع فى دورة الزمن الفلكية . وهذا كان يعد كلاما غريبا على قلم فيلسوف متفائل ولكن الواقعات الراهنة تقهر الأمزجة المتفائلة وترغم الحكيم المتحفظ على التصريح بما كان يصونه عن أذهان الخاصة فضلا عن العامة .

و إن المستقرئ الحصيف لا يعدم من أقوال المفكرين وشهادة الحكماء التى يؤدونها بين يدى التاريخ ومؤلفات الرقباء العدول الذين لا يضمرون تحيزا ، عشرات الآراء التى تؤيد برتران روسل وتدعم حجته فى هذا الوصف الوجيز المؤلم. فقد قال ويليم هارد فى مجلة " نظرة الى الأمام": "إن الأمم الحديثة فى القارتين اللتين تحملان أعلام الحضارة (أوروبا وأمريكا)

قد فقدت العقائد الدينية ولم تحل محلها شيئا، حتى ولا قانون الآداب العادية التى تعد سياجا متينا فى حياة الصين بناه كونفوشيوس بحجارة من العرف والعادات والأخلاق الموروثة ليكون عضدا لسور الصخور الذى بناه ملوك الصين الأول ليمنعها من هجوم الغزاة والفاتحين وإذا كانت الأمم لا تحترم الأديان ولا تعوض عنها بالأخلاق الفاضلة. فلا ريب فى أنها تنزلق الى الرذيلة والإباحية . وقد استقرأت هذه المسألة فوجدتها قد مرت بطورين الأول فقد الكرامة التى كان يتحلى بها رب الأسرة وانطباع الخلال فى الشباب بطابع حب الذات والأثرة . وقد استفحل هذا العيب وتضخم حتى دخلنا فى دور الحساب والعقاب على ما جنت أيدينا فى هذه البلاد . إن الدين ليس عبادة وطقوسا وحسب، ولكنه أيضا نظام اجتماعى يحدث الرهبة والهيبة والاحترام فى النفوس. فهو حفاظ لا يستهان به ووقاية ضرورية للأمم فى أدوار الحضارة. وإن انحطاط الأخلاق فى دور الحضارة يحتاج الى شدة فى معاملة الرعية حتى ترعوى وتسلك ما يقرب من سواء السبيل " .

وضرب الكاتب أمثالا عن التمسك بالأخلاق ولو كان عن طريق التقاليد الموروثة فى الطبقات القديمة فقال :

"إن البراهمة المتمسكين بدينهم فى بلاد الهند يخشون التلوث من مخالطة أرباب الديانات الأخرى كالبوذيين والمسلمين والمنبوذين، وسبب خشيتهم رعبهم الدينى الشديد من لمس لحم الحيوان فاذا وصل الى أيديهم خطاب من مملكة نائية يأكل أهلها لحم الحيوان يغتسل أحدهم بالماء من رأسه الى قدمه ليطهر من لمس ذلك الخطاب . وكان هذا الأمر يبدو لنا غريبا ودليلا على الحماقة أو على الأقل على التنطع فى الدين، أما الآن فنحن نعجب به ونمتدحه لا فى ذاته ولكن فى دلالته على فائدة التمسك بأوامر الدين ونواهيه. فقد صار كثير من الأمم التى كان يحرم عليها الخمر وأكل لحوم الخنزير والمعاملة بالربا تفعل هذه الأشياء جهارا وتفاخر بها ، الأمر الذى لا يخطر على بال الهنود ولذا استطاعوا أن يتماسكوا على مدى الأجيال الطويلة أمة متحدة لا يعتورها انحلال " .

وضرب مثلا آخر على الكذب فقال " إن قانون مانو الأدبى الذى يخضع له مائتان وخمسون مليونا من الهنود يحرم الكذب وينذر بالعقاب عليه ولا يبيحه إلا فى حالتين اثنتين :

الأولى عندما يتعلق بالكذب إنقاذ حياة إنسان من الموت، والثانية عند ما تثنى على غانية فتذكر لها محاسن لا وجود لها أو تبالغ فى وصف محاسنها .

فأين هذه المبادئ السامية من حياتنا الحاضرة القائمة على الأكاذيب فى السياسة والاقتصاد والاجتماع وسائر المعاملات تقريبا ، حتى يعاب من لا يتقن هذا النوع . وقد

كتب أحد مشاهير مؤلفى الانجليز فى أواخر القرن التاسع عشر فصلا بليغا فى "جعل الكذب فنا جميلا ، مع أن انجلترا كانت من أشهر الأمم فى صدق المعاملات[1] نعم إن كتابة فصل لا تدل على أخلاق أمة بأسرها ، ولكنه علامة على تحول الزمن ودخول الكذب فى حياة المجموع دخولا يقتضى تمجيده والتشنيع عليه وتجويزه من دواعى العتاب والملام .

(٢)

من أهم مظاهر الحياة العصرية الحديثة الصراع الحربى المصحوب بالصراع السياسى وهما نتيجة منطقية للصراع الاقتصادى .

كتب تشارلس هندرسون أحد أصدقاء الرئيس روزفلت فى مجلة " هار برز مجازين" فى مقال بعنوان الثورة الاجتماعية يقول " هل يترك العالم حتى ينتحر ، أو تفنى الأمم بعضها بعضا فى هذا الصراع الذى يعرف أوله ولا يعرف آخره ؟ . لقد اشتعل العالم كله بالحرب وبعد ان كانت الحرب محصورة بين دولتين أو ثلاث صارت مشاعة بين جميع دول العالم تقريبا دون استثناء . وبعد ان كانت الحروب من اختصاص الجيوش فى أزمان معلومة وأماكن معينة تعرف بميادين القتال أو جبهات الحرب أصبحت الأرض جميعها ميدان حرب وجبهة قتال وكل سكان العالم جنودا وجيوشا على الرغم من أنوفهم ، حتى الأطفال والشيوخ والنساء والمرضى ، وأصبح تبنى اليتامى التائهين أمرا مسلما به سواء أمات الوالدون أم فقدوا وأصبح الأهل يبحثون عن ذويهم بالمذياع واندكت صروح الحضارة المادية التى صرفنا فى تشييدها نحن وأجدادنا مئات السنين . وأصبحت الحياة الانسانية أبخس ثمنا من سعر قنبلة أو مدفع رشاش ، دع عنك دبابة أو طائرة أو غواصة . واتجه ذكاء الجنس البشرى وفطنة أفراده وقوة إرادتهم نحو التدمير والهلاك .

وقد فنى فعلا عشرات الملايين تقتيلا وإغراقا وإحراقا واكتظت أجواف البحار وفيافى الصحارى والفلوات ومجارى الأنهار وأحضان الحراج والغابات ببحث الشبان الذين كانوا بلا ريب مناط آمال الإنسانية المتمدينة فى القرن العشرين ، أما الأموال التى انفقت فى مضمار هذا الدمار فلو أنها استخدمت لاكلها ، بل بعضها فى تقويم المعوج وإصلاح الفاسد وتعمير الخراب وعلاج المرضى ، وإغناء الفقراء وتعليم الجاهلين ، لازدهرت الحياة الدنيا فى كل بقعة من بقاع العالم مئة عام على الأقل .

---

(١) يشير الكاتب الى ما كتبه أوسكاروايلد بعنوان Lying as a fine art.

إن الحقائق كلها لا تقال للأمم كما صرح بذلك هارى بيرد (Harry F. Byrd) عضو مجلس الشيوخ فى الولايات المتحدة فى مقال مفيد عنوانه "برنامج الدفاع القومى" وما دام المقول والمذاع أن هذه الحروب لفائدة الشعوب التى تخوض غمارها فالشعوب أولى من ينبغى له أن يقف على الحقيقة، نعم إن الزعماء موضع ثقتهم ومقر اطمئنانهم ومستودع أسرار الدول فى السلم والحرب ، ولكن الأمم فى نهاية الأمر هى التى تدفع الثمن مالا ودما .

(٣)

إن أصل هذا النزاع هو صراع لأجل القوت . وما كنا نسمع كاتبا أوروبيا يتغزل فى الخبز قبل الآن .

فقد كتب "ريتشارد سون رايت" فى مجلة "كتاب الأيام" ما يأتى :

" إن رغيف العيش رمز لأشياء كثيرة ثمينة ، ولا يجوز أن تنسى . ففيه أرى بذرة القمح التى تلقى فى جوف الأرض السمراء وقطرات المطر التى تسقى الزرع وتبعث الحرارة فى كيان الحبة . وفيه رؤوس القمح الذهبية وسنابله الرشيقة والرياح التى تهب فتميل تلك السنابل الملآنة بالقوت ، فيشبه حقل القمح تحت اهتزاز الريح موجة عسجدية تذهب وتعود . وفيه تلك الحيوانات الصغيرة التى تجوس خلال الحقول وتمر مسرعة فى أقنيته الضيقة لتقتطف فى غفلة الحراس بعض تلك السنابل قبل نضجها .

ثم يأتى الحصاد فيشمر الرجال والنساء عن سواعدهم ليحصدوا ويكدسوا ويهرسوا ويذروا فى الهواء ثم ينقل القمح إلى المطاحن فتطحنه دقيقا ناصع البياض وتقدم الأمهات فى غبطة وهناء لعجنه وخبزه فيخرج من الأفران المنزلية ذا رائحة عطرة ولون ذهبى وطعم طبيعى لذيذ . فاذا جاء صباح السبت وصفت الأرغفة الناضجة على الألواح أقبلت الفتيات والفتيان على مئها بالزبدة والمربى ليسدوا بها رمقهم كما يفعل آباؤهم وأمهاتهم فى المصانع والحقول والمناجم والبيوت" اهـ . الغزل فى الرغيف .

هذا الكلام الجميل فى رغيف الخبز ، لم نقرأ مثله إلا فى هذا العصر ، وهو يمثل حالة نفسية لم تكن معروفة فى أنحاء العالم فى عهود الرخاء ويذكرنا بقول المتنبى فى مدح أبى شجاع فاتك أمير الفيوم :

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

من القصيدة الشهيرة التى مطلعها :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

(٤)

ومما يؤيد القول بأن أصل نكبة العالم اقتصادية وأن الخوف من الجوع هو الذى دفع بهم إلى الموت والقتل ما كتبه ويب والدرون الكاتب المعروف بعنوان " مليونان من العاطلين فى الولايات المتحدة وحدها " فقد وكد هذا الكاتب الخبيرأن العطل فى العالم المتمدن ليس حالة طارئة بل داء مزمن يتفاقم ويشتد وهو يسبق حصوله بأعوام . فقد كان العطل فى الأجيال الماضية طارئا على العمال والصناع والزراع فى مواسم معلومة تعرف فى فرنسا بأنها (Saison morte) أى مواسم ميتة أما الان فإن العالم والعامل والطالب يستعدون للعمل بالدرس والممارسة والمران وهم يعلمون أنهم لن يجدوا عملا . ونتيجة ذلك فى كل أمة متمدنة أنه بانقراض الجيل المعاصر تذهب الرغبة فى التحصيل والاستعداد ما دامت النتيجة معروفة سلفا وهى العطل والعجز عن الحصول على عمل . إن أصل الاجتماع أن يبدأ الرجال أو النساء تعليم فن بافتراض عقد اقتصادى ضمنى مؤداه أنك تبذل المال والجهد لتستعد وأن المجتمع يتلقاك ويجازيك على استعدادك بايجاد عمل لك ولذويك . ولولا ثبوت هذا العقد الضمنى فى أذهان الشبان والنساء مامد أحدهم يده للتعليم أو الاستعداد ، فالأغنياء منهم ليسوا بحاجة للعمل والفقراء لا يرضون أن يتعلموا ليعيشوا بعد ذلك على صندوق الصدقة العامة . ثم تبدأ ثورة اجتماعية غايتها قلب الأوضاع الحاضرة . وأن عدد مليونين هو نتيجة فحص ديوان إدارة الإنتاج وليس ظنا أو تخمينا أو تنجيما بل حقيقة راهنة وقد شوهدت بوادر هذا العطل فى الصناعات الكبرى مثل صناعة السيارات المدنية وصناعة أوانى الألومنيوم "مانيتوك" فى ميدتيل وغيرها من البلاد التى تخصص أهلوها لهذه الصناعة وأن ديوان العمل ليعجز عن ردع الشركات التى تأمر عمالها بالانصراف لأن رؤوس أموالها لا تكفى لسداد مرتباتهم .

لقد أصبحت أعباء الحكم ثقيلة على كواهل الحكام ، حتى أن الرئيس الواحد منهم ليحيطن نفسه بعدد لايستهان به من المستشارين وأهل الرأى ممن لايخلون بتبعة وقد اشتهروا بالذكاء والاخلاص والحنكة . ولكن العيب فى هذه الطريقة أن الذى يبدى الرأى غير الذى يتعهد بتنفيذه . وكان مثل هؤلاء الأشخاص يعرفون فيما مضى باسم القوة الرمادية (puissance grise) كالأب يوسف الذى كان يسند ريشليو ورجل المابين الخديوى الذين سندوا السلطان عبد الحميد وكاشية بعض ملوك انجلترا فى أوائل القرن العشرين .

وقد كتب رايون كلا پر فى مجلة (Look) أن الذين يحملون عرش الرئيس روزفلت ثمانية من دهاة الأمريكان يخلون به ويدخلون عليه فى كل وقت بدون إذن ويراجعون خطبه ويوجهون أحاديثه وكلهم موضع ثقته ورضيع لبان مودته لايجذبهم مال ولا تغريهم سلطة وهم

ويل ميليت وفليكس فرانكفورتر وأوكونور وباروخ وشرودو بوليت وماكليش وروزنمان. هؤلاء ليسوا وزراء ولكنهم خلفاء كولونيل هاوس الذى كان يد لرئيس ويلسون اليمنى ونحن لا يهمنا من عملهم أو أشخاصهم شيء أكثر من أهم جزء من صورة العصر الحديث فى هذا العالم ولو فحصنا كل بلاط أو رياسة لوجدنا حاشية من هـذا القبيل قد يكون لها أثر ونفوذ أقوى وأوقع من أثر المسئولين الرسميين أنفسهم . وهـذا التكوين الرياسى هو مظهر اجتماعى لحاجة الحاكم الى تعـدد الآراء وتوافر الأذهان التى تجتمع لمعونته فى فحص أمهات المسائل فى الحقيقة ودرسها ، فهل هم ضمان للشعب أو ضمان للحاكم وهل هـدايتهم — حتى فى حالة إجماعهم — تؤدى الى الغاية المقصودة من التفافهم حول الحاكم؟ وقد أثبت الاختبار أن الحاكم أو الرئيس وان اتخذ مستشارين غرباء عن الحكم يزداد أمنه مالم يكن هـذا المستشار امرأة وإلا فالعاقبة معروفة فيما وقع بين بول رينو وهيلين دى بورت فى مأساة فرنسا .

من مظاهر التناقض الصارخة فى العصر الحديث التضييق على حرية الأفكار والأقوال والاباحة شبه المطلقة فى المجتمع . فعن الأولى قال هيرمان أولشتان صاحب أكبر دار للطباعة فى أوروبا الوسطى " ليس فى مقدورنا أن تكون لنا آراء " وتسجل المجلات والصحف المصورة تصاوير الرجال والنساء فى الحدائق والبساتين العامة وعلى شواطئ البحار فى أوضاع يندى لها وجه الشيخ الناضج وجبين العذراء البريئة . أهو الاعجاب بالجمال ، أو داء الحب للوهلة الأولى ، أو تحلل الروابط الاجتماعية أو إغضاء الشرطة وحفاظ الأمن عن هذا الأذى لكل عين محصنة قال مستر بروكلين داونى : كنت أمر وصديق فى سنترال بارك وفيه إضاءة كاملة فان سيادة الظلام لم تكن مطلقة ولن تكونها أبدا فى هذه الجنة الفيحاء وإذا بنا نرى عن يميننا وشمالنا وتحت أقدامنا وفى كل بقعة قدودا ممدودة وأجساما متلاصقة وأذرعة متعانقة وخدودا متقاربة فلم نظن فى أول الأمر أنهم بشر مع أننا سمعنا وصف هذه الحالة عشرات المرات وقد دب الرعب فى قلب صاحبى فعلا ورأيته يسرع الخطى ولكن أخيرا تأكدنا أنهم رجال ونساء فى مقتبل العمر وأنهم اتخذوا هذه الطريقة للائتناس وقضاء ساعات الفراغ . فقال لى صاحبى :

" لا شك أن مثل هذه المودة الوثيقة تورث الصداقة ... "

قلت : الصداقة فقط ؟ قل إنها خليقة بأن تورث الزواج الدائم والعروة العائلية التى لا انفصام لها . إذ ليس بعد هذه المحبة على عشب الأرض شيء يقرب بين قلبين .

فنظر إلىّ شزرا وقال لى : أتعلم أن الطلاق أصبح بدعة صارخة وأن بعض ولاياتنا تخصصت فى تسهيله !

(٥)

كان الطلاق محرما فى الديانة المسيحية لاعتباره رابطة لاتنفصم بين الكنيسة والسيد المسيح . وفى الانجيل آية " لا تفرقوا من جمعهم الله " ثم عدل عنه البروتستان فى القرن السادس عشر . ووضع الكاثوليك فى سبيله عقبات ثم أباحوه . وأباحته الكنيسة الارثوذكسية بقيود شديدة والكنيسة الانجليكانية بانجلترا جعلت له أسبابا مشروعة كالزنا والجنون وعدم اتفاق الأمزجة وأخيرا رفعت القيود فى كل مكان حتى صار الطلاق نوعا من اللهو والتسلية فكتب جوردون جاسكيل فى المجلة العامة مقالا بعنوان " طلق بينما تلهو "

قال : دقت مدينة رينو فى سنة ١٩٤٠ أجراسها لثلاثة وألفى طلاق ولكن "ميامى" قد بذتها وغلبتها إذ سجلت محكمتها فى عام واحد ٤٠٠٠ طلاق . والشروط هينة لينة فما عليك إلا أن تقيم فى هذه الولاية أو تلك تسعين يوما فى الصيف أو فى الشتاء وأن تدفع رسما بسيطا ثم تقرر أنك ستقيم مدى حياتك فى هـذا البلد أو ذاك ولن يحاسبك أحد على هذا التقرير . أما القاضى فلا يسألك إلا سؤالا واحدا وهو أتنوى الاقامة إلى ما شاء الله ؟ . أما أسباب الطلاق فهينة فمنها أن زوجتك رفضت قبلتك أو غلقت الباب دونك أو أجابتك إجابة خشنة أو تهاونت فى إعداد الطعام أو كلفتك مالا تطيق ثمنا لقبعة أو سراويلات أو منامة الخ وكذلك تبدى المرأة أى سبب من هذا النوع كأن تقول انك لم تضحك من نكتتها فخجلت أو سألتها بعد أن قصت عليك نادرة طريفة "وماذا حدث لأحد أشخاص النادرة" مما يدل على عدم انتباهك ، أو أنك تشاغلت عنها بمداعبة قط أو كلب أو عصفور كنارى الخ . فاذا صدر الطلاق فقد فصمت عروته إلى الأبد . ويحدث تزوير كثير وكذب أكثر (مع عدم الحاجة اليهما) ولا يبالى أحد بما يحدث .

وهذه الحالة تدل على تفكك الروابط العائلية التى كانت أقوى ضمان للسعادة القومية لأن الأسرة نواة المجتمع ودعامته فاذا كان تفككها سهلا وميسورا ببذل قليل من المال فقد أمسى المجتمع كله فى خطر . كانت الأمثال تضرب بسهولة الطلاق عند المسلمين وتعتبر نذير سوء وخطر بل عيبا جوهريا فى التشريع الاسلامى . أما الآن فقد تفنن الغربيون المسيحيون فى اختراع أسباب الطلاق وجعله من السهولة بمكان عظيم ، عابثين بمقدسات الحياة غير عابئين بما يصيب الأولاد وهم ثمار الزواج وعماد الأمة ؛ واكتفى الفرنسيون بتمثيل المآسى على المسارح ووصفوا الأطفال بأنهم ضحايا وكفى !

إن هذه الصورة الغبراء بل القاتمة قد أوحت إلى كاتب كثيرين تدوين الكتب وتدبيج المقالات وتحبير الرسائل حتى أن رئيس تحرير جريدة التقدم بمدينة كليرفيلد جاهد فى ابتكار عنوانات لاثنتى عشرة مقالة فى عدد جريدته ليصف حالة العالم الدولية والاجتماعية ولم يجد

واحدا منها كافيا لبيان موضوعه فاضطر فى نهاية الأمر أن يجعل للجريدة كلها عنوانا واحدا فى رأس الصفحة الأولى وهو : " العالم فى أسوأ حال " .

(٦)

وليس هـذا الوصف بالكثير على بعض ما نرى ونسمع ونقرأ بل لعله يليق بالبعض لا بالكل و إنك لو أمعنت النظر أو أنعمته فى الحقائق الكبرى الماثلة بين يديك والشاغلة لذهنك لرأيت معظمها ناشئا من أسباب صغيرة يعدها بعض الناس تفهة حتى ليصدق عليها المثل العربى "معظم النار من مستصغر الشرر" قال "پاسكال" المفكر الدينى الفرنسى الشهير :

"إن صغائر الأمور التى قد تمر غير معروفة أو ملاحظة من أحد تحرك الجنس الإنسانى بأسره فان أنف كلو بطرا لو كان أقصر مما كان ولو بربع قيراط لتغير وجه العالم من سنة ٣١ قبل المسيح إلى الآن، فإن جمال كلو بطرا فتن عقل أنطونيوس ولو لم يفتن بها لما خسر موقعة أكتيوم س ٣١ .ق.م التى غيرت اتجاه التاريخ وأصبح لو انتصر، مؤسس الإمبراطورية الرومانيـة " و إن موقعة الطرف الأغر سببت رواج التجارة الانجليزية فى أمريكا ، و إن تغذية الجنود بلحم البقر تعقب الفوز فى ميادين القتال (وترلو)، و إن سبب انتخاب ويلسون لرياسة الجمهورية هو (استقالته) من التدريس واشتغاله بالسياسة، وسبب الاستقالة أنه أراد بناء كلية پرنستون بوجهة بحرية فعارضه عميد الكلية، و إن سبب الحرب الكبرى الماضية طلقة من مسدس برنزيب الصربى فقتل ولى عهد النمسا . و إن سبب الحرب الحالية هو فشل عصبة الأمم، وقد فشلت لأن الولايات المتحدة لم تنضم إليها . و إذن يكون وضع كلية برنستون الحالى الذى أغضب ويلسون هو السبب الخفى للحرب الحاضرة .

إن هـذه النبذة التى كتبها كاتب من أقدر الكتاب فى مجلة Scribner تدل على تفريع التعليل المنطقى فى الأذهان الناضجة لحوادث العالم وتعد فى ذاتها تعليلا لبعض ما نشهده من حوادث هذا العصر الحديث التى لم يسبق لها مثيل فى التاريخ على الرغم من قول بعض الباحثين إن التاريخ الإنسانى يعيد نفسه .

ولأجل ختام هذه الصورة العالمية العصرية العجيبة نذكر أن مجلة "فرندلى رڤيو" نشرت بحثا طريفا لدرس الإجرام فى هذه الأعوام فقال الكاتب : تمر الآن موجة من الجنون الخيالى بأذهان المجرمين فقد كفوا عن القتل و إهراق الدماء قليلا بعد إعلان الحـرب ، كما قلت حوادث الانتحار بنسبة الثلث . واتجه الجناة إلى ألوان طريفة من الإجرام، فقد خطف مجرم ورقة مالية بألف ريال ثم ابتلعها وهو يأمن من مجىء الشرطة والاعتقال ، وأخذ الآخر وثيقة التأمين على الحياة لصديق وجعلها فى " برشام " طبى كالذى تؤخذ فيه الأدوية المرة

وتناولها بجرع من الماء بدون سبب ظاهر، وسرق أحدهم حماما من تاجر صينى ثم باعه إليه، وأخذ لص سيارة حمل كبيرة من صاحبها فارغة من الأحمال وقادها بضعة أميال ثم تركها سليمة ، ودخل رجل عارى البدن إلى مصرف فهربت السيدات من وجهه وضحك الرجل فلم يصنع شيئا سوى أن قال إنه يريد إيداع خمسين ريالا لحساب صديقته، أما الشيء الذى أخرج الكاتب عن حدود عقله فعبر عن الحادث بأنه " باعه واشتراه " فهو أن مجرما شهيرا اسمه "بارو" ممن كانت تهتز له أبواب المحاكم والسجون وتضطرب لذكره قلوب رؤساء الشرطة والمخبرين إذ أنه زعيم عصابة أدخلت الرعب على جنوب الولايات المتحدة الغربى بأسره زمنا يزيد على عشرة أعوام، هذا الرجل الضخم الخطير يبحث عنه البوليس لأنه سرق علبة بطارخ من دكان بقال ! !

قال الكاتب : و إنى أميل إلى تعليل هذه الحوادث بالنظرية القائلة بأنها وليدة الانحلال الخلقى والانحطاط المستمر عن مستوى الحياة الأدبية بسبب ارتقاء التمدن ارتقاء لم يسبق له مثيل ، أى أن الأشياء إذا بلغت ما يقرب من الكمال عادت إلى النزول البطىء أو السريع كما تزول الحياة من أى كائن حى .

* * *

هذه صورة خاطفة للعالم الحديث فى ربيع سنة ١٩٤٢ مرسومة بأقلام عشرات من كتاب الغرب لخصناها لتكون عبرة لأهل الشرق ونحن نعوذ بالله من الشرور ونسأله السلامة فى البقية الباقية .

*

محمد لطفى جمعه

" إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ " .

[قرآن كريم]